والعامة تقول: نحن ما قلنا إلا صدقا.

ومنها: تعظيم أرباب الدنيا، بحيث يغفرون لهم كل معصية، ويسمونها طاعة، طمعا فى دنياهم، واحتقار الفقراء جدا، بحيث يعدونهم محرومين أشقياء.

ويقولون: لو أن الله تعالى راض عنهم لرزقهم الدنيا وأغناهم.

ومنها: ظهور أهل المنكر على أهل الحق، فترى المؤمن المتقى الخائف على دينه وعلى نفسه من الزلل بين يدى المنافق والفاسق والفاجر الذى لا يبالى فى أى دين هو بعد رواج دعواه الإسلام والإيمان ترى هذا المؤمن بين الناس من هذا الصنف يؤذونه باليم النكال، ويفترون عليه بقبيح الأعمال والأقوال، فى عرضه وفى دينه وفى عقله، ومعهم على ذلك أعوان السوء، إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

فهذه الأمور وأمثالها هى الفتن التى هى كقطع الليل المظلم، ومن كثرة اعتبار أهل الزمان عليها، ووقوعهم فيها من غير وجود منكر فيها أصلا لا يعرفونها، ولا يعدو لها شيئا، وربما يفضل بعض المغرورين زمانه هذا على الزمان الماضى، فيمدح أهله من كثرة الجهل، وعمى القلب، وانطماس البصيرة، بأكل الحرام، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا، وأين ذلك الزمان زمان المحبة بين أهله من زمان النفاق والعدوان.

أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن أبى الدرداء قال: مالكم لا تحابون وأنتم إخوان على الدين، ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولو أجمعتم على أمر تحاببتم، ما هذا إلا من قلة الإيمان فى صدوركم، ولو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها لكنتم للآخرة أطلب، فبئس القوم أنتم إلا قليلا منكم.

لقد خاطب قوما وجدهم كذلك، والآن جميعهم سالكون فى هذه المسالك، فالعز فى العزلة، والذل فى الخلطة، وأول الغيث قطرة، والعاقل يزم نفسه بزمام العقل ويلجمها بلجام النقل، ولا يترك النفاق ينبت فى قلبه بالمخالطة نبات البقل.